

## المقاربات الفيلولوجية لنص دروس في اللسانيات

أ.د. مصطفى غلفان

باحث من المغرب

m\_ghelfane@yahoo.fr

### الملخص:

نعرض في هذه الدراسة للمنعطف التاريخي الذي عرفه نص سوسير دروس في اللسانيات العامة من خلال أبرز المقاربات الفيلولوجية التي تناولت بالتحليل والنقد مصادره التاريخية وفق المخطوطات التي أصبحت متاحة. ومعلوم أن هذا الكتاب المنسوب لفيرديناند دو سوسير (1857-1913) الصادر سنة 1916 بإشراف شارل بالي *Charles Bally* وألبرت سيشهاي *Albert Sechehaye* ظل المصدر الوحيد الذي يمثل فكر سوسير اللساني وما بني عليه من تصورات حديثة في اللسانيات خاصة ما يعرف باللسانيات البنيوية. ومنذ النصف الثاني من القرن العشرين، بدأت العناية مجدداً بنص دروس في اللسانيات العامة الذي كان موضوع العديد من القراءات الفيلولوجية كان منطلقها العمل الذي أصدره روبرت غودل *Robert Godel 1902-1984* سنة 1957، سنة بعنوان المصادر المخطوطة لدروس في اللسانيات العامة لفيرديناند دو سوسير الذي كشف فيه لأول مرة تفاصيل إخراج نص دروس سنة 1916 ولاسيما تدخل الناشرين في بناء نص سوسير وتكوين فقراته وفصوله. وتبع غودل في عمله الفيلولوجي تلميذه أنغلر *Rudolf Engler 2003-1930* الذي قدم ما بين 1968- و1974 طبعة نقدية لنص دروس غير مسبوق وفيها عرض لما دونه طلبة سوسير في كراساتهم وكذلك فعل وطوليو دو مورو *2016-1932 Tullio De Mauro* في نشرته النقدية منذ 1972 وكوماتسو وغيرهم الذين فتحوا بابا جديدا لولوج لسانيات سوسير ولوجا مباشرا يختلف كثيرا عما هو وارد في النسخة الرائجة لنص دو سوسير..

### الكلمات المفتاحية:

نص سوسير- المقاربات الفيلولوجية- دروس في اللسانيات العامة- شارل بالي- ألبرت سيشهاي- اللسانيات البنيوية- روبرت غودل- رودولف أنغلر.

---

*Philological approaches to Saussure's Course in general linguistics*

*Pr. Mostafa Ghelfane*

*m\_ghelfane@yaboo.fr*

**Abstract:**

*This The Arabic linguistic literature has known in its history two distinct types of scientific works: authentic authorship attributed explicitly to specific authors, and works translated from foreign languages to Arabic.*

*There is no doubt that each of these two types has its own criteria governing its value, quality and the scientific context is still in need of more serious achievements in both directions.*

*This paper aims to reveal a hybrid and dangerous type of works that has begun to invade the field of Arabic linguistics characterized by deliberate and planned mixing of original authorship and translation. This has produced for us what might be called: "an authorship that is more like a translation, or a translation which is more like an authorship".*

*Salah Fadl's book: "Stylistics: its Principles and Practice/ Ilm el-USlob: Mabadi'uhu wa Ijra'atuhu" and also in most of his other works are a well-represented model of this hybrid genre. This paper is an attempt to unveil elusive techniques he commits to achieve his scientifically and ethically illegal goal.*

**Keywords:**

*Translation, original authorship, hybrid authorship, critical reviews.*

### مقدمة

كتاب دروس في اللسانيات العامة المنسوب لفرديناند دو سوسير (1857-1913) الصادر سنة 1916 بإشراف شارل بالي *Bally* *Ch.* وألبرت سيشهاي *A. Sechehaye* هو المصدر الوحيد الذي يمثل فكر سوسير اللساني وما بني عليه من تصورات حديثة في اللسانيات خاصة ما أصبح يعرف باللسانيات البنوية التي وضع أسسها التصويرية العامة انطلاقاً من هذا النص نفسه لسانيو حلقة براغ ومن أبرزهم تروبتسكوي *N. Troubetskoy* وياكوبسون *R. Jakobson* ويلمسليف *L. Hjelmslev* مؤسس حلقة كوبنهاجن المعروفة بالغلوسيماتيك.

ومنذ النصف الثاني من القرن العشرين، بدأت العناية مجدداً بنص دروس في اللسانيات العامة الذي كان موضوع العديد من القراءات؛ بعضها فيلولوجي، وبعضها لساني، وبعضها أدبي، وبعضها فلسفي، وبعضها إبستمولوجي، وبعضها تاريخي وسياسي<sup>1</sup>. وتنامى الاهتمام بسوسير بصفته مصدر منهجية فريدة و متميزة تجاوزت حدود حقل اللسانيات لتعانق مجالات أخرى من العلوم الإنسانية كالأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس والتحليل الأدبي والنقدي وغيرها. وتأسست هيئات ومؤسسات أكاديمية ومراكز علمية أبرزها حلقة فرديناند دو سوسير *Cercle F. de Saussure* التي أنشئت سنة 1957. وقامت لهذه الغاية في أنحاء مختلفة من أوروبا حركة لغوية دؤوبة تُعنى بلسانيات سوسير وفكره ومساره العلمي وحياته الشخصية وهي الحركة التي تُعرف اليوم باسم اللسانيات السوسيرية الجديدة *La linguistique néo-saussurienne*. وفي سياق هذه العناية المتزايدة بلسانيات سوسير وبارثه الفكري عامة، نجد اليوم دارسين لا مناص للمهتم بسوسير من الاطلاع على أبحاثهم، ومن أشهرهم: روبير غودل *R. Godel* 1984-1902 وروودولف أنغلر

<sup>1</sup>. رُوي هاريس، سوسير ومؤولوه، (قيد الطبع).

1930-2003 R.Engler وطوليو دو مورو 1932-2016 T. De Mauro وهنري فراي

1899-1980 H.Frei ورونيه أماكر (R. Amacker) وغيرهم.

وتوسّعت دائرة المهتمين بسوسير متجاوزة حدود سويسرا موطنه الأصلي لتجد لها أتباعاً ومُريدين في جُل البلدان الأوروبية لاسيما في فرنسا وإيطاليا وبريطانيا وإسبانيا وروسيا وصولاً إلى اليابان وكوريا وكندا والأرجنتين والبرازيل وكولومبيا وغيرها<sup>1</sup>.

والذي لا خلاف حوله اليوم، أن فكر سوسير ما يزال مَرَجِعاً محورياً لفَهْم الإشكالات الكبرى المطروحة منذ نهاية القرن التاسع عشر في الحقول المعرفية التي تهتم بقضايا اللغة وفي مقدمتها اللسانيات والسيمولوجيا وفلسفة اللغة وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها. "ويظل سوسير بين اللسانيين بلا شك اليوم ليس في فرنسا وسويسرا وأوروبا فقط؛ أكثر من يُقرأ ويترجم ويستشهد به، والكتب التي تناولته تُعدّ بالعشرات والمقالات بالآلاف" (أريفيه، ص34). وما تزال لسانيات سوسير حتى أيامنا موضوع نقاش وجدل بين مؤيدين ومعارضين لفكر الرجل وللمنهجية التي انبثقت عن لسانياته ونقصد بها المنهجية البنيوية. وما تزال قيمة نظريته ضمن لسانيات القرن العشرين والسياق التاريخي الذي ظهر فيه مؤلفه الشهير دروس في اللسانيات العامة ونوصه الأخرى التي ظهرت لاحقاً محور بحث وتأمّل العديد من الدراسات العالمية التي تشق طريقها إلى المطابع والندوات الدولية المنعقدة هنا وهناك. إنه سوسير الذي أدهش الناس حياً وشغلهم ميثاً.

ولا يغيب عن ناظر كل من يعود إلى أدبيات تلقي سوسير منذ ظهور مصنفه المأثور والقراءات التي طالت تصوراتهِ اللسانية حقيقة جوهرية تتمثل في أن كل ما يتعلّق بالرجل وبلسانياته يعجّ بالتناقض والغموض وسوء الفهم ويدفع إلى التساؤل القلق، سواء تعلق الأمر بتصويراته أو بصياغتها أو بتأويلها أو بالاستدلال عليها فضلاً عن مظاهر التعارض الصّارخ بين تعدد واجهاته الفكرية؛ سوسير عالم النّحو المقارن، وسوسير عالم اللسانيات، وسوسير الباحث في الجناس الصحفي، وسوسير محلّ الحكاية الخرافية والأسطورة، ورهما وجوه أخرى، ناهيك عن مفارقات مواقف سوسير نفسه وتطور تصوراتهِ أثناء إلقاء دروس اللسانيات طيلة خمس سنوات. وأخيراً نجد الاختلاف بين نصّ دروس في

<sup>1</sup>. نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر أسماء أبرز الباحثين المهتمين بلسانيات سوسير: فرانسوا راستي F. Rastier وسميون بوكيه S. Bouquet وكابرييل بيركيو G. Bergounioux فرانسواز كاديت F. Gadet وكلودين نورماند C. Normand وسيش Chiss وكوسات Caussat وميشال أريفيه M. Arrivé وسميون رافايل Simone Raffaele وجوهان فير J. Fehr وبيتر فونديري P.Wunderli ولودفيش ياجر L.Jäger ودانيال كبارارا D. Gambarara وروي هاريس R. Harris وكارول ساندرس Carol Sanders وكلوديا مايجا كويخانو C. Meija Quijano. أما الأسماء الجديدة التي دخلت مؤخراً حلبة العناية والاهتمام بسوسير فيضيق المقام بذكرها.

اللسانيات العامة الذي أخرجه بالي وسيشهاي (1919, *Gadet*). والدروس نفسها كما هي واردة في النصوص المخطوطة للدروس أو ما يعرف -تبعاً لعبارة غودل - بالمصادر المخطوطة أو المصادر الأصول.

### 1. المصادر المخطوطة لنص دروس

تعد سنة 1957، سنة مناقشة أطروحة روبرت غودل المصادر المخطوطة لدروس في اللسانيات العامة لفرديناند دو سوسير *Les sources manuscrites du Cours de Linguistique Générale de Ferdinand de Saussure* بداية مرحلة جديدة في التعامل مع سوسير عامة ونص دروس في اللسانيات العامة المنسوب إليه بصفة خاصة. وغودل من مؤسسي حلقة فرديناند دو سوسير *Le cercle de Ferdinand de Saussure* سنة 1957 التي أسند إليها-إضافة إلى مهام أخرى الإشراف على الدورية الدولية الشهيرة كراسات فرديناند دو سوسير *Cahiers Ferdinand de Saussure* التي أنشئت في الأربعينيات من القرن العشرين والمتخصصة في فكر سوسير اللغوي. ويعد غودل أول مُحقق لنصوص سوسير المخطوطة، وهو أول من استعمل العبارة الفنية المصادر المخطوطة *Les sources manuscrites* للإشارة إلى مسودات النصوص الأصول التي اعتمدها الناشران بالي وسيشهاي قصد إخراج نص دروس في اللسانيات العامة إلى حيز الوجود. كما قام غودل قبل 1957 بنشر نصوص أخرى لسوسير نذكر منها:

- مجموعة نصوص قصيرة تعود إلى الفترة الممتدة ما بين 1890-1894 أسماها غودل تدوينات سوسير غير منشورة حول اللسانيات العامة (1954), *Godel*, pp. 49-71

- مقدّمة دروس سوسير في اللسانيات أثناء العام الثاني 1908-1909؛ نقلاً عن كراسات بعض الطلبة، وهي المقدّمة التي أهملت كلياً في طبعة 1916، *R. Godel*, (1957), pp. 6-103.

ونشر غودل أيضاً في الدورية الشهيرة كراسات فرديناند دو سوسير *Cahiers de F. de Saussure*. نصوصاً أخرى لسوسير، ومن ثمة شكلت أعماله الفيلولوجية منعظفا حاسما في تلقي لسانیات سوسير التي أصبح التعرف عليها ممكناً معزلاً عن نص دروس في نسخته الشائعة التي أصدرها بالي وزميله سيشهاي. وبظهور أبحاث غودل الفيلولوجية ولاسيما دراسته المصادر المخطوطة (1957) دخل نص دروس في اللسانيات العامة مرحلة جديدة قوامها الفحص النقدي الدقيق لمادة

النصوص التي تشكل أقسامه وفصوله وفقراته. وحدّد غودل لتحليله الفيلولوجية جملة من الأهداف أبرزها:

- تقديم نبذة موجزة عن المصادر التي اعتمدها الناشران في إخراج طبعة 1916،
  - ضبط المصادر الأصول لنص دروس في اللسانيات العامة،
  - تحديد دور الناشرين بالي وسيشهاي في بناء نسيج أقسام نص دروس وفصوله وفقراته وتوضيح مستوى تدخلهما في إعادة بناء تصورات سوسير وتأويلها،
  - الإشارة إلى المصادر والنصوص المخطوطة التي لم يعتمدها الناشران،
  - دراسة مضامين المصادر المخطوطة والمقارنة بينها لاستخلاص مراحل تطور فكر سوسير وتنوع أسلوب تعبيره عن كل مرحلة على حدة شكلاً ومضموناً،
  - تحليل أبرز المبادئ والمفاهيم التي تُمثل أصالة إسهام سوسير في دراسة اللغة، والإشكالات المرتبطة بها، وخاصة المفاهيم الواردة في مُقدّمة نص دروس في اللسانيات العامة لاسيما في الفصلين الثالث والخامس والقسمين الأول والثاني منه<sup>1</sup>.
- ولم يكتف غودل بالرجوع إلى المصادر المخطوطة التي اعتمدها بالي وسيشهاي في نشرتهما حسب ما ذكره في تصديهما كتاب دروس، وهي المصادر المحفوظة في المكتبة العمومية والجامعية بجنيف<sup>2</sup>؛ بل رجع أيضاً إلى مصادر أخرى لم يرد لها أي ذكر في طبعة 1916. ومعلوم أن الناشرين اعتمدا في إخراج نص دروس على المصادر الأصول المتمثلة في «الملاحظات للعامين الأول والثاني من السادة لوي كاي<sup>3</sup> *Louis Caille* وليوبولد كوتير *Léopold Gautier* وبول ريكار *Paul Regard* وألبرت ريدلنجر *Albert Riedlinger* وللعام الثالث وهو الأهم من السيدين جورج ديكالير *George Degallier* وفرانسيس جوزيف *Joseph Francis*. كما قدّم لنا السيد لوي بروتش *Louis Brüttsch* ملاحظات تخص موضوعاً معيناً<sup>4</sup>. وبالمقابل قام عمل

1. Robert Godel, (1959), p. 9.

2. انظر التوصيف المفصل لهذه المصادر المخطوطة في:

Robert Godel, (1959), p.13-19.

3. كتبنا أسماء الأعلام باللغة الفرنسية تسهيلاً للقراءة. ويبدو أن المترجم نسي ذكر اسم السيدة سيشهاي Mme Secheyhay التي تابعت بدورها دروس سوسير.

4. فيردنان دو سوسور، (1985) علم اللغة العام، بغداد، دار آفاق عربية (الكتاب رقم 3)، ص5، (أثبتنا اسم سوسير وأسماء الأعلام بالعربية كما هي واردة في الترجمة العربية العراقية).

غودل النقدي لمصادر طبعة 1916 على ما أصبح متاحاً في مكتبة جنيف العمومية من مصادر مخطوطة منسوبة إلى سوسير أو تتعلق مباشرة بدروسه. فقد تَلَقَّت هذه المكتبة من أسرة سوسير رصيلاً مهماً من المخطوطات الجديدة سنة 1955؛ فضلاً عما سَلَّمته في نونبر من السنة نفسها السيدة بالي إلى إدارة المكتبة نفسها من مصادر مخطوطة تتعلق بدروس سوسير ونصوص أخرى كانت في حوزة زوجها<sup>2</sup>. وحسب غودل، فإن المصادر المخطوطة المتعلقة بنص دروس ترجع في معظمها إلى الطلبة الذين استمعوا مباشرة إلى سوسير ذكر غودل أسماءهم وعدد كراساتهم وعدد صفحاتها حسب أعوام الدروس<sup>3</sup>: غير أن مصادر الناشرين لم تتجاوز في واقع الأمر نطاق كراسات ثلاثة طلبة هم: فرانسيس جوزيف *Francis Joseph* وجورج دوغالييه<sup>4</sup> *G. Degallier* وهلين دو مارغريت بودي *H. de Margueritte Burdet* التي ستصبح لاحقاً زوجة سيشهاي. وبالرغم من كل هذا، لم يشكَّ غودل في موضوعية ونزاهة صنيع بالي وسيشهاي وأمانتهما العلمية إزاء تعاليم سوسير، بل أشاد بدورهما التاريخي والحاسم في نشر تعاليمه. ونقدم مثالا لما قام به غودل في التعامل مع المصادر المخطوطة:

|         |  |
|---------|--|
|         | <i>INTRODUCTION.</i>   |
| Ch. I   | COUP D'ŒIL SUR L'HISTOIRE DE LA LINGUISTIQUE<br>CLG p. 13-19<br>III 95 (D 1-3)<br>II 85-86 (R 124-136, 140-150, 159-162)<br>[I 50 (R 2)]: dernière phrase du chapitre.   |
| Ch. II  | MATIÈRE ET TÂCHE DE LA LINGUISTIQUE; SES RAPPORTS AVEC LES SCIENCES<br>CONNEXES<br>CLG p. 20-22<br>III 95 (D 3-4).   |
| Ch. III | OBJET DE LA LINGUISTIQUE<br>§ 1. <i>La langue; sa définition.</i><br>CLG p. 23-27<br>III 96 (D 5-6); 111 (D 172-174, 182)<br>II 50 (R 3-12)<br>[N 9.1 = <i>Extr.</i> 9]: résumé al. 2 p. 23<br>[N 21 p. 4]: utilisé p. 27 al. 2 (26-27).<br>§ 2. <i>Place de la langue dans les faits de langage.</i><br>CLG p. 27-33 (27-32)<br>III 96 (D 6); 112 (D 174-181)<br>[I 19 (R 2.25)]: utilisé p. 31, al. 3 (30, al. 6).<br>§ 3. <i>Place de la langue parmi les faits humains. La sémiologie.</i><br>CLG p. 33-36 (32-35)<br>III 96 (D 7-8); 113 (D 181-182)<br>II 53-54 (R 12-23). |

<sup>1</sup>. إشار دو مورو De Mauro وهو من أكبر محققي نصوص دروس إلى أن بعض المصادر المخطوطة التي اعتمدها بالي وزميله لم يحتفظ بها في المكتبة العمومية بجنيف؛ بل إنَّ بعضاً منها لم يُعرف إلى اليوم مصيره. فإنغلر لم يُعثر على أي أثر لدفاتر بول روگارد. انظر: F.de Saussure, CLG/De Mauro(1974), p. 405.

<sup>2</sup>. Godel, (1959), p.10

<sup>3</sup>. R.Godel (1959), p.15.

<sup>4</sup>. Daniele Gambarara, (2005), p. 32.

يُحيل السّطر الأول على الفصل وعنوانه في طبعة 1916 ثم رقم الصفحة. مثلاً الباب الأول (Cb) (I): لمحة عن تاريخ اللسانيات، ص13-19. وتشير الأسطر ما بعدها إلى المصادر المخطوطة التي اعتمدها الناشران. أما الأرقام الرومانية I و II و III فتشير إلى دروس العام الأول أو دروس العام الثاني أو دروس العام الثالث، بينما يحيل الحرفان اللاتينيان D أو R إلى الحرفين الأولين من أسماء طلبة سوسير، هما دوغالييه *Dugallier* وريدلنجر *Riedlinger*. وأخيراً تشير الأرقام إلى صفحات كراسات الطلبة. ونستنتج من النص السابق أن مضمون الباب المعنون "لمحة عن تاريخ اللسانيات" في نص دروس (1916)، [ص13-19] بني على أساس التدوينات التي أخذت من كراسات الطالبين دوغالييه أثناء دروس العام الثالث، وتدوينات ريدلنجر أثناء العام الثاني. ولكي تكتمل تقاطيع خريطة رصد عتبات تدخّل بالي وسيشهاي في بناء نص دروس وتركيبه، وقّف غودل عند أهم خطوة في تدخلهما إن لم تكن الأخطر والمتعلقة بإضافتهما عدداً من الفقرات والعبارات. لا يتعلق الأمر بزيادة بعض الروابط أو الأدوات التي من شأنها أن تقوي أسر فقرات النص أو تربط بينها أو تُحيل إلى أجزاء أخرى من النص. فهذه الزيادات غالباً ما يكون اللجوء إلى استعمالها ضرورة واجبة لكي يستقيم النص وتتماسك أطرافه كوحدة عضوية على نحو ما هو متداول في تحقيق النصوص. أما الإضافة التي يتحدث عنها المهتمون بتوثيق نص دروس سوسير فيلولوجياً فتتمثل في زيادة الناشرين فقرات كاملة قد تطول أو تقصر، وذلك إما لتكملة مضمون فقرة سابقة أو توضيحها وإما لزيادة مضمون غير موجود من ذي قبل في الأصل أو ما شابه ذلك. وتكمن أهمية الإضافات التي استخرجها غودل وضبط مواقعها في نص دروس بدقة في أنها ربما تكون قد أسهمت بنسب متفاوتة في تأويل تصورات سوسير بصورة أخرى أو في اتجاه آخر قد لا يكون بالضرورة ما قصد إليه سوسير أصلاً. ونذكر من هذه الإضافات على سبيل التمثيل لا الحصر، مُحيلين على مواضعها<sup>1</sup>:

<sup>1</sup>. Robert Godel, (1959) p. 115-129.

حتى تسهل على القارئ العودة إلى الأمثلة المستشهد بها، نُحيل على صفحات النسختين الفرنسية (ف) والعربية (ع) استناداً إلى الترجمة التونسية.

| نص الفقرة المضافة   | موضوع الفقرة                         | دروس           |
|---|--------------------------------------|----------------|
| "كأن نبدأ على سبيل المثال بدراسة لغة الأطفال. كلا إنه لرأي خاطئ، كل الخطأ أن نعتقد أن نعتقد قضية البداية في الكلام تختلف عن أوضاعه الدائمة إذ نحن لا نخرج عند ذلك من الحلقة المفرغة.  | لغة الأطفال ( )                      | ص: ف 24 / ع 28 |
| "إننا إنما نتعلم لغتنا الأم بفضل الاستماع إلى الغير ولا يتأتى لها أن تستمر في أدمغتنا إلا بعد عدد لا يحصى من التجارب".  | تعلم اللغة الأم                      | ف، ع 38، ع 41  |
| وقد يعترض معترض عن هذا الفصل بين التصويت باللسان مستدلاً بأن التغيرات الصوتية واعتلال الأصوات وإن كان من نصيب اللفظ فإنهما يحدثان مع ذلك تأثيراً بعيد المدى في مصير اللسان نفسه ؛ فنرى هل يحق لنا أن نزع أن للسان وجوداً عن هذه الظواهر الضمنية؟ الجواب عن هذا السؤال يكون بنعم لأن هذه الظواهر لا تنال من الكلمات إلا وجهها المادي هي أصابت اللسان من حيث هو نسق من العلامات فلا يتم ذلك إلا بصورة غير مباشرة أي عن طريق التأويل الجديد الذي ينجم عن ذلك. بيد أن هذا التحول في التأويل لا يمت إلى الأصوات بأية صلة". | ف 36 - 37 ع 40-41 التحولات الأصواتية |                |
| ولمّا كان عدد الإضافات التي أدخلها الناشران في الفصل المتعلق باعتبارية العلامة وبخطّيتها كثيرة، فإن غودل وضع لها ملحقاً قابل فيه فقرات طبعة 1916 بنظيراتها مأخوذة من كراسات الطلبة <sup>1</sup> .   |                                      |                |
| - ف 115، ع 127: ليس في المصادر وجود لأي مقارنة بين علاقة الدال بالمدلول والعلاقة بين العمل والأجرة.   |                                      |                |

<sup>1</sup>.Robert Godel, (1959), pp. 122-129.

ف-130، ع142، نجد حديثاً عن القانون الاجتماعي بينما يتحدث سوسير حسب غودل عن لفظ "قانون" بصفة عامة وليس القانون الاجتماعي كما في نص دروس<sup>1</sup>.  
ف 132-134، ع144-145، بشر غودل إلى أن الاستدلال المتعلق بالوقائع الدلالية والتحويلات التركيبية والصرفية والتغيرات الصوتية هي من وضع المحققين<sup>2</sup>.  
ف-150-151 ع167-168 التعليق على المثال "سيداتي" المتعلق بأننا لا نعيد الكلام مرتين بالطريقة نفسها، هو من وضع الناشرين<sup>3</sup>.  
وعرض غودل على امتداد صفحات عدة من دراسته السالفة الذكر كل الفقرات التي عمل بالي وسيشهاي على إدراجها ضمن دروس بمهارة عالية. وقد أحصينا إضافاتهما بصرف النظر عن نسبة طولها أو قصرها فوجدنا، أنها وصلت إلى أربع وأربعين (44) إضافة.

## 2. الطبعة النقدية لنص دروس

لا يختلف السياق المعرفي الذي ظهر فيه عمل رودولف أنغلر<sup>4</sup> *Rudolf 2003-1930 Engler* كثيراً عن السياق الذي ظهر فيه مؤلف أستاذه غودل. فقد حرص أنغلر على تجديد الإشارة إلى أن "طبعته النقدية هي تركيب *synthèse* لدروس في اللسانيات العامة وليست أطروحة نقیضة *antithèse* لها وللمصادر المخطوطة<sup>5</sup> (في إشارة إلى عمل غودل الصادر سنة 1957)؛ مشيداً هو الآخر بدور الناشرين بالي وسيشهاي ومؤكداً أنهما اعتمدا عملياً على المصادر التي كانت متاحة لهما وقتئذ. وحذر أنغلر من مغبة الشك في نية الناشرين إزاء فكر أستاذهما وزميلهما؛ أو إنكار جهدهما وفضلهما في الحفاظ على إرثه؛ وهما اللذان كانا الأقرب إليه واحتفظا بالعديد من المحادثات معه<sup>6</sup>. وبلغت أنغلر انتباه القارئ إلى غموض عبارة طبعة نقدية *Edition critique* الواردة في العنوان الفرعي لمؤلفه الضخم: فرديناند دو سوسير دروس في اللسانيات العامة. طبعة

<sup>1</sup>. Ibid, p.116.

<sup>2</sup>. Ibid, p.116.

<sup>3</sup>. ألا ترى أنك إذا سمعت مُحاضراً يعيد كلمة Messieurs (ساذقي) مرات عديدة خُيِّل أنك في كل مرة تسمع نفس العبارة والحال أن اختلاف سرعة التلفظ بها وتنوع النغمة فيها يضيفان عليها من سياق إلى سياق فوارق صوتية ذات بال لها من الأهمية ما تلك الفوارق التي تصلح في مواضع أخرى للتمييز بين كلمات مختلفة. (...) رغم أنه لا وجود كذلك لاتحاد مطلق من وجهة النظر الدلالية بين ما تقيده كلمة ساذقي من فترة إلى أخرى من خطبة خطبينا تماماً كما يُمكن للكلمة الواحدة أن تُدل على معاني مُختلفة شيئاً ما بدون أن ينال ذلك كثيراً من هويتها أي من كونها كلمة واحدة". دروس في الألسنية العامة، ص150-151 [تحقيق محمد الشاوش ومحمد مجينة].

<sup>4</sup>. F. de Saussure, CLG/Engler, (1968-1974).

<sup>5</sup>. F. de Saussure, CLG/Engler, Préface, p. IX.

<sup>6</sup>. Ibid, p. XI.

نقدية. وتعني كلمة "نقد" المستعملة في الدراسات الفيلولوجية عادة أن "النص قد تمّ التثبت منه وتصحيحه وتذييله بحواشي من التعليقات". أما عبارة طبعة نقدية عنده فتحيل على المنظور النقدي الفيلولوجي للمتن السوسيري على أساس المقابلة التامة بين نصوصه المتنوعة. ونبه أنغلر على أن طبعته النقدية لا تروم تصحيح أخطاء طبعة 1916 وهفواتها. وسيكون من الغرور من ناحية أولى إنكار قيمة العمل الرائع الذي قام به الناشران؛ فلم يكن ثمّة أحد غيرهما مهياً لإنجازه على أحسن ما يرام". ويتعدّر كلياً من ناحية ثانية على أي كان أن يقوم بصياغة فكر سوسير في صورته النهائية". ويخلص أنغلر إلى أن هذه الاعتبارات الموضوعية تجعل هدف طبعته النقدية محدداً مسبقاً (...). بحيث يجب أن لا تكون الدراسة النقدية نقداً مباشراً لنص دروس في اللسانيات العامة؛ وإنما ينبغي أن تقوم على مقابله مصادره الأصول<sup>1</sup>. لكن أنغلر قدّم في الوقت ذاته أدلة نصية ملموسة تتيح للقارئ إمكانية التعرف بيسر على مستوى تدخل الناشرين من خلال لمسألتها الشخصية التي بصمها بها صياغة تصورات سوسير الواردة في نص دروس في اللسانيات العامة. ينطلق أنغلر في تحقيقه الفيلولوجي من الفصل الواضح بين نص دروس والتدوينات التي دونها الطلبة في كراساتهم بحيث تمّ تقديم مجمل النصوص إلى القارئ كنصوص معزولة ومستقلة بعضها عن بعض. وكان هدف أنغلر مزدوجاً:

- الكشف عن درجة قرب نص دروس أو ابتعاده عن مصادره الأصول،

- تبيان مواضع تدخل الناشرين في بناء نص دروس.

وعلى العكس من سلفه غودل، لم يكن أنغلر في حاجة إلى كتابة أي تعليق على ما قدّمه الناشران في إخراج نص دروس؛ إذ جاءت الهندسة التي اتبعها في عرض المصادر الأصول ناطقة بنفسها وشاهدة بالملموس على درجة اتصال نص دروس بمصادره الأصلية أو ابتعاده عنها. فقد جاءت الطبعة النقدية في صيغة صفتين متقابلتين مقسمتين إلى ستة أعمدة. يعيد العمود الأول نص دروس في اللسانيات العامة وفق صفحات الطبعتين الثانية والثالثة (1922 و 1931). وتعرض الأعمدة الثانية والثالثة والرابعة نص تدوينات كراسات الطلبة التي اعتمدها بالي وسيشهاي<sup>2</sup>. وأخيراً يقدّم العمودان الخامس والسادس نصوصاً كانت مجهولة إبان إعداد طبعة 1916. ويتعلق الأمر بالنصوص التي جمعها غودل في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي<sup>3</sup> وأبرزها ما تضمنه العمود الخامس من تدوينات منقولة مباشرة عن كراسات الطالب قسطنطين *Constantin* التي وإن

1. Ibid, p. X.

2. للتذكير اعتمد بالي وزميله أساساً دفاتر ثلاثة طلبة هم: فرانسيس جوزيف Francis Joseph و(السيدة سيشهاي) Helene de Margueritte Burdet وجورج دوغالييه Georges Degallier انظر:

Daniele Gambarara, (2005), p. 32.

3. Rudolf Engler, (1968.1974), p. X.

كانت تُعد من أشمل المصادر المخطوطة<sup>1</sup> لدروس سوسير، فإنه لم يعتمد لها لا الناشران ولا غودل نفسه. ويعرض العمود السادس نصوص سوسير نفسه سواء تلك التي لها علاقة مباشرة بدروسه في اللسانيات أو بتأملاته في اللغة إجمالاً.

وقد بذل أنغلر جهداً فيلولوجياً متميزاً وهو يُقدّم مباشرةً مجمل المصادر الأصول لنص سوسير التي تمدّ القارئ بمعلومات مهمة وتوضيحات دقيقة تسمح بالاطلاع الإجمالي ليس على نص دروس وحسب، وإنما على تدوينات الطلبة برمتها وكذا ملحوظات سوسير المكتوبة بخط يده *Autographes* ما نشر منها وما لم ينشر منها بعد. وتتمثل الغاية النهائية- لعمل أنغلر في ضبط مواضع الاختلاف بين دروس والمصادر الأصول ضبطاً موضوعياً سواء فيما يتعلّق بعرض مضامين جديدة لم ترد في طبعة 1916، أو رصد الاختلاف بين الكلمات المستعملة أو تراكيب الجمل الواردة في تدوينات الطلبة مقارنة بنص دروس في اللسانيات العامة.

ومن مميزات الجهد الفيلولوجي الذي قام به أنغلر نذكر:

أ- تحديد هوية المصادر المعتمدة في طبعة 1916 تحديداً دقيقاً بضبط أسماء أصحاب الكراسات المنقول عنهم وتعيين صفحاتها وترتيبها ضمن التسلسل الزمني لدروس الأعوام الثلاثة؛ وتحديد ما إذا كان مضمون التدوينات ينتمي إلى دروس العام الأول أم إلى دروس العام الثاني أم دروس العام الثالث. ويتيح التوثيق الذي قام به أنغلر مهارة فائقة معرفّة حجم عمليات التوسع أو التكتيف أو التركيز أو الاختصار أو الحذف التي أجراها المحققان على نصوص تدوينات الطلبة.

ب- بسط أجزاء من النصوص المصادر التي أغفلت وكان يتعين العودة إليها واعتمادها في إخراج دروس في اللسانيات العامة سنة 1916.

ج- التنصيص على ما ورد من تطابق عبارة ولفظاً بين نص دروس ومصادره الأصول. والأمثلة في هذا الباب كثيرة يمكن التعرف عليها بسهولة في الأعمدة التي وردت فيها من خلال تأشير أنغلر عليها بالبند الغليظ.

د- التنبيه على ما أضافه الناشران من فقرات وجمل لم يتمكن أنغلر من التعرف على مصادرها الأصول أو توثيقها توثيقاً مؤكداً.

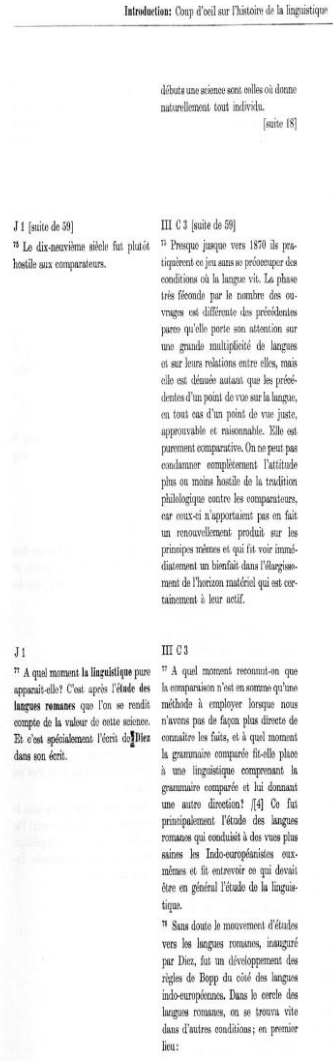
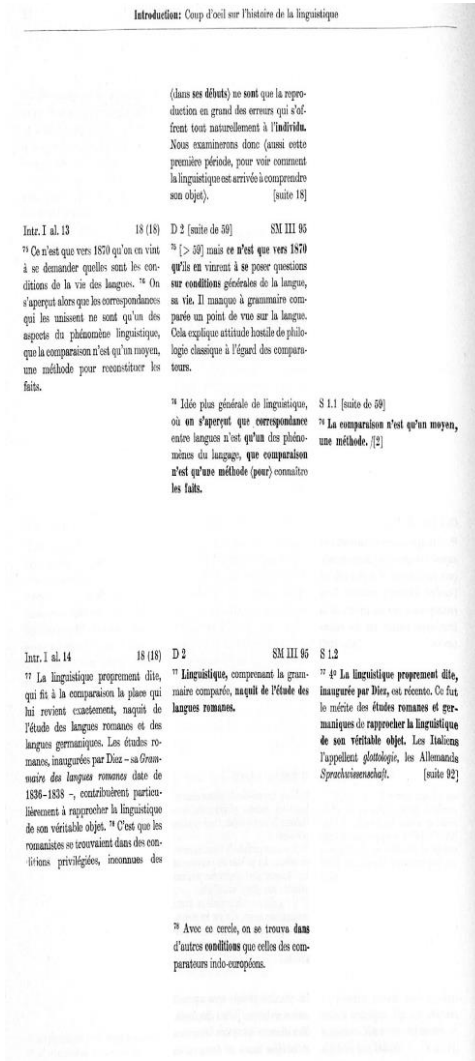
ومن الاجتهادات الفيلولوجية البارزة قيام أنغلر بتجزئة نص دروس إلى مقطوعات نصية *Fragments* مرقّمة من 1 إلى 3281<sup>2</sup> تقوم كل واحدة منها على فكرة أساسية مستقلة وليس

1. René Amacker, (1975).

2. Rudolf Engler,(1968/1974) , préface, p. XI.

بالضرورة على أساس الجملة الواحدة. وقابل أنغلر مجموع المقاطع بمصادرهما الأصول التي رُقمت هي الأخرى حتى يستطيع القارئ-إن هو رغب في ذلك-قراءتها متسلسلةً باستقلال بعضها عن بعض. ويتيح التقييم المتسلسل لفقرات دروس ولتدوينات الطلبة رصد الاختلافات الداخلية بينهما من ناحية أولى؛ وبين تدوينات الطلبة فيما بينها من ناحية ثانية، ومقارنةً مختلف مكوناتها مقارنةً إجمالية مباشرة. وأخيراً يساعد تقييم تدوينات الطلبة المتسلسل القارئ على إعادة تكوين نص خطاب سوسير في صورته الأولية.

وتوضح الصفحة رقم 13 المنقولة عن دروس في اللسانيات العامة من الطبعة النقدية بالملموس جزءاً من التنقيب الفيلولوجي الدقيق الذي قام به أنغلر في عمله الرائد.



نَجِدُ فِي الْعُمُودِ الْأَوَّلِ فِي يَسَارِ الصَّفْحَةِ نَصَ دُرُوسٍ مُجْزَأً إِلَى مَقْطُوعَاتٍ، بَيْنَمَا تَتَضَمَّنُ الْأَعْمَدَةُ الْبَاقِيَةَ تَدْوِينَاتِ الطَّلِبَةِ الَّتِي تَتَفَاوَتْ فِي طَوْلِهَا مَقَارَنَةً بِهَا يُقَابَلُهَا فِي نَصِ دُرُوسٍ. وَيُمْكِنُ لِلْقَارِئِ أَنْ يَدْرِكَ بِسَهُولَةٍ كَيْفَ أَنَّ النَّاشِرِينَ أَغْفَلُوا الشَّيْءَ الْكَثِيرَ مِنْ كَلَامِ سَوْسِيَرِ الَّذِي تُمْكِنُ الطَّلِبَةُ مِنْ تَدْوِينِهِ

في كراساتهم. أما الفراغ في العمود السادس فيؤشر إلى أن سوسير لم يكتب شيئاً مما دونه الناشران في نص دروس. وتقوم الهندسة المرئية التي خَطَطَ لها أنغلر داخل فضاء الصفحات المتقابلة على وضع المصادر الأصول إلى جنب طبعة بالي وسيشهاي واستثمار قيمة الفضاء التي تحتلها الأعمدة المحملة هنا بمقاطع نصية والشاغرة منها هناك. وتُقدِّم الأعمدة بما حوته فقرات المصادر أو خَلَّتْ منها كَشْفًا مرئياً عن نسبية علاقة تدوينات طلبة سوسير بنص دروس، قد يعجز العرض المكتوب عن القيام به بطريقة شافية واضحة ومباشرة. وكلما أمعن القارئ النظر في مضمون الأعمدة، استنتج بتلقائية ويسر أن تطابق كلمات عبارات نص دروس مع مصادره الأصول يُقدِّم الدليل المادي الملموس على أمانة الناشرين؛ بينما يكشف فراغ الأعمدة أو امتلاؤها عن سُمك الحجاب المعتَم الذي وضعه الناشران على تعاليم سوسير الشفوية جراء تدخلهما في تشكيل فصول نصه وفقراته وجمله من حيث تركيبها وبنائها وترتيبها<sup>1</sup>.

ورأى البعض فيما قام به أنغلر من توظيف سيميولوجي عبر فضاء الصفحتين المتقابلين ووضع الأعمدة والأشكال المختلفة للتقييم شكلاً مادياً ملموساً على وجود وجهات النظر متعددة إزاء خطاب سوسير؛ بحيث تُصبح مقطوعات النصوص الواردة في الأعمدة جنباً إلى جنب روايات متفاوتة الاختلاف تتيح الموازنة المباشرة بينها رسم أدق ملامح نسيج خطاب سوسير المفقود *Discours disparu* ويسمح بتصوير تقاطيعه البارزة؟ ولكي نقف على القيمتين النظرية والمنهجية البالغتين لطبعة أنغلر النقدية وأهميتها في تقريب القارئ أكثر فأكثر من مضمون خطاب سوسير الأصلي ورصد سياقه التاريخي والمعرفي نقدم المثال التالي:

1. C. Mejia Quijano, (2005), p. 13.

2. Ibid, p.10.

2 IV § 1 al. 8

188 Ces vues font mieux comprendre ce qui a été dit p. 102 de l'arbitraire du signe. 189 Non seulement les deux domaines reliés par le fait linguistique sont confus et amorphes, mais le choix qui appelle telle tranche acoustique pour telle idée est parfaitement arbitraire. 190 Si ce n'était pas le cas, la notion de valeur perdrait quelque chose de son caractère, puisqu'elle contiendrait un élément imposé du dehors. 191 Mais en fait les valeurs restent entièrement relatives, et voilà pourquoi le lien de l'idée et du son est radicalement arbitraire.

184 (157)

D 276 [suite de 1827] SM III 151

189 Il y avait quelque chose à ajouter au fait lui-même; nous y revenons maintenant.

190 Non seulement les deux domaines réunis par le fait linguistique sont confus et amorphes, mais le choix du lien entre les deux, le mariage entre les deux, est parfaitement arbitraire.

191 Si ce n'était pas arbitraire, il y aurait à restreindre cette idée de valeur; il y aurait un élément absol. [277]

191 Mais les valeurs restent parfaitement relatives parce que le lien est parfaitement arbitraire. [suite 1846]

§ 2.42 [suite de 1827]

190 Le choix qui appelle telle tranche acoustique pour telle idée est arbitraire.

191 Aussi les valeurs sont-elles relativement relatives parce que le lien est parfaitement arbitraire. [suite 1846]

II R 24 [suite de 1287] SM II 56

185 Nous ne reconnaissons (deme) comme sémiologique [25] que la partie des phénomènes qui apparaît caractéristiquement comme un produit social (et nous nous refusons à consi-

G 1.5a [suite de 1287]

182 Nous ne reconnaissons comme sémiologique que la partie du phénoène qui apparaît caractéristiquement comme un produit social. Il s'agit de fixer la nature de ce produit social (car la

B 15 [suite de 1287]

182 Arrivé à ce point, on voit se définir mieux l'horizon sémiologique. Nous nous refusons à considérer comme sémiologique ce qui est proprement individuel. Nous ne considérons com-

III C 399 [suite de 1827]

188 Il y a même quelque chose à ajouter au fait lui-même, et j'y reviens maintenant.

189 Non seulement ces deux domaines entre lesquels se passe le fait linguistique sont amorphes, (mais le choix du lien entre les deux), le mariage (entre les deux) qui créera la valeur est parfaitement arbitraire.

190 (Si ce n'était pas arbitraire, il y aurait à restreindre cette idée de la valeur; il y aurait un élément absolu.) Sans cela, les valeurs seraient dans une certaine mesure absolues.

191 Mais puisque ce contrat est parfaitement arbitraire, les valeurs seront parfaitement relatives. [suite 1846]

II C 22 [suite de 1287]

182 Arrivé à ce point, on voit se définir mieux l'horizon de la sémiologie; nous ne reconnaissons comme sémiologique que la partie des phénomènes qui apparaît caractéristiquement comme

188 cf. éd. faire de la psychologie

188 cf. 1° 12°

يتعلق الأمر بمقارنة سريعة بين المقطعين 1839 و 1840 من نص دروس في اللسانيات العامة<sup>1</sup> (العمود الأيسر 2IV§8al.8) وما يقابلها من تديونات الطالبين دوغالييه 1839 D276 في العمود الثاني وقسطنطين III.C399 في العمود الخامس. جاء في نص دروس (العمود الأول): «فليس هذان الصعيان اللذان يربط بينهما الحدث اللغوي مبهمين وغير واضح المعالم فقط، بل إن الاختيار الذي يستدعي تخصيص مقطوعة أكوستيكية ما لفكرة ما إنما هو اختيار اعتباطي كل الاعتباطية ولو لم يكن الأمر كذلك، لَفَقَدَ مفهوم القيمة شيئاً من صفته؛ إذ إنَّه عندئذ يكون متضمناً بعنصر قد فرض عليه من الخارج فرضاً لكن القيم تبقى في الواقع نسبية تماماً ولذلك كان الرابط بين الفكرة والصوت اعتباطياً من أساسه (جذرياً)».

1840 "ثم إنَّ اعتباطية العلامة تجعلنا نفهم بصورة أوضح لم كانت الظاهرة الاجتماعية بمفردها قادرة على إنشاء نظام لغوي ما. فوجود المجموعة البشرية أمر ضروري لوضع عدد من القيم ليس لوجودها من مبرر إلا في الاستعمال وفي ارتضاء عموم الناس لها، أمَّا الفرد فإنَّه عاجز وحده عن أن يضع أية واحدة من هذه القيم».

1. F. de Saussure, CLG/De Mauro (1974), p. 157. سوسير (1985) دروس في الألسنية العامة.، CLG/Engler (1968/1974), 2, p. 254. ص 174

يطابق مضمون المقطوعتين 1839 و1840 من دروس إجمالاً ما هو وارد من كلام في D276<sup>1839-1840</sup>. وإذا كان المقطع رقم 1840 في دروس يتضمن الكلمات نفسها الموجودة في تدوينات الطالبين، فإنَّ العلاقات المنطقية (العلة والنتيجة *cause à effet*) التي تربط بين مكونات الجمل لها ترتيب آخر. كتب دو كالييه «لكن القيم تبقى نسبية كل النسبة لأن *parce que* الرابط اعتباطي كل الاعتباطية *entièrement*». ويؤكد قسطنطين هذا الرابط المنطقي قائلاً: «ولكن "بما أن *puisque* التعاقد اعتباطي تماماً، فإنَّ القيم ستكون نسبية (كل النسبة)». أما الناشران فيقدمان نتيجة مختلفة عما سبق؛ إذ يذهبان إلى أنَّ الطابع النسبي لقيمة الوحدات هو الذي يفسر اعتباطية الرابط اللغوي: «لكن القيم تبقى في الواقع نسبية تماماً، ولذلك كان الرابط بين التصور والصوت اعتباطياً من أساسه (جذرياً)»<sup>1</sup>.

لا تكمن أهمية الطبعة النقدية في أنَّها تسمح بالاقتراب أكثر من تصور سوسير، بل إن تدوينات الطلبة موثقة ومحددة على النحو الذي اتبعه أنغلر في ضبطها وتوثيقها من الناحية الزمنية، تقدم معلومات إضافية تتيح أيضاً التعرف على ما أجراه الناشران على نص دروس من توليف أو دمج بين فقرات يختلف سياقها عن السياق الأصلي الذي وردت فيه. ونستطيع أن نقول انطلاقاً من ضبط مصادر الفقرتين السابقتين [276 *Dégallier* و2.42 *Sechebaye* و399 *Constantin III* أنَّهما تنتميان إلى أحد دروس العام الثالث<sup>2</sup> (1910-1911) الذي يتحدث فيه سوسير عن مفهوم القيمة محاولاً أن يشرح الطابع السلبي والنسبي لأطراف القيمة في التزامنية الواحدة". ويمكن القول بالنسبة إلى مقطوعات دروس (1839 و1840 والأرقام الضابطة للمقطوعات المقابلة لها من تدوينات الطلبة وهي [15 *Bouchardy* و1.5.a *Gautier* وII *Riedlinger* وII *Constantin* 22] بأنَّها دُوِّنت في بداية دروس العام الثاني. ويتمثل الخلاف البارز بين المقطوعات في مصادرها الأصول مقارنة بنص دروس في الفارق الزمني والمعرفي بينهما. ويبدو أن الناشرين لم يحترما شيئين اثنين وهما التسلسل الزمني للمقطوعات السابقة، والسياق المعرفي الذي وردت فيه؛ إذ جمعا بين مقطوعات نصية متباعدة زمنياً بثلاث سنوات على الأقل. أما من الناحية المعرفية فإنَّ سوسير حاول أن يكشف لمستمعيه في دروس العام الثاني (1908-1909) عن الخاصية السيميولوجية للسان كشيء اجتماعي ونفسي. وهو يعرض في سياق حديثه عن الطبيعة اللامادية للعلامات لمفهوم القيمة *valeur* والصعوبات التي تواجهنا في تحديده، بينما سيتحدث

<sup>1</sup>. F. de Saussure, CLG/De Mauro (1974), p. 157.

<sup>2</sup>. بات مؤكداً الآن أن ملحوظة قسطنطين جاءت في آخر درس ألتاه سوسير وكان ذلك يوم 4 يوليو من سنة 1911. انظر: F. de Saussure, TCLG/Komatsu (1993), p. 138.

في دروس العام الثالث (1910-1911) عن مفهوم القيمة لإبراز أهمية نسق العلاقات *Relations* بين وحدات اللسان في حالة معينة. نجد أنفسنا في دروس العام الثاني ودروس العام الثالث أمام مقاربتين مختلفتين ومستويين متميزين بوضوح لا يفرق بينهما نص دروس في اللسانيات العامة، هما: المنظور السيميولوجي والمنظور اللساني الخالص للقيمة<sup>1</sup>. وخالصة القول إنه لم يكن ممكناً دون الطبعة النقدية التوصل إلى هذه المعلومات المهمة التي أتاحت تتبع مسار تطور مفهوم القيمة عند سوسير والعلاقة بينه وبين الاعتبارية وعلى التسلسل التاريخي والمعرفي الذي ورد فيه.

### 3. دو مورو: التحقيق الموسوعي لنص دروس

لا يستغني الباحث المهتم بلسانيات سوسير عن طبعة طوليو دو مورو *Tullio De Mauro* التي ظهرت منتصف الستينيات من القرن العشرين على هامش ترجمته نص دروس إلى الإيطالية<sup>2</sup>. ومثل طبعة دو مورو مرحلة جديدة باعتبارها تُقدّم خلاصة لأهمّ المكاسب المحصّل عليها في الدراسات الفيلولوجية المتراكمة في قضية الثبوت من صحّة نسبة نص دروس في اللسانيات العامة وغيره من النصوص إلى سوسير. وتظل المعلومات الدقيقة والشاملة التي قدّمها دو مورو من أشمل وأدق ما أُنتج من دراسات فيلولوجية في النصف الثاني من القرن العشرين حول نص دروس في علاقاته بالمخطوطات الأصول التي باتت متاحة الآن ولاسيما ما قدمه غودل وأنغلر. وقد أسهب دو مورو في الحديث عن حياة سوسير الشخصية وعن تصوراته فأبرز من خلال مقارنة شاملة ودقيقة بين نسق تصوراته وتصورات عدد من اللغويين والمفكرين المعاصرين التأثير الإيجابي والواسع لنص دروس في مختلف اتجاهات الفكر اللغوي الحديث والعلوم الإنسانية في أوروبا وأمريكا. ورصد دو مورو في قراءته السياق التاريخي والمعرفي والمصطلحي لأصول لسانيات سوسير ومفاهيمها الأساس رسداً دقيقاً، فكشف عن جذورها المعرفية ومجمل تحولاتها والمراحل التي مرت منها، والملابسات الفكرية التي ساعدت على بروزها أو تراجعها عبر التاريخي الفكري واللغوي. ونشرة دو مورو لنص دروس هي في النهاية قراءة موسوعية لتصورات سوسير وأساليب معالجته لقضايا اللغة عبر فكر آخرين وتصوراتهم، قدامى ومحدثين، مشهورين ومغمورين. كما تتبع دو مورو فقرات وجمل، بل وكلمات نص دروس بالتوثيق الدقيق والتعليق العميق والتحليل الشامل، شارحاً دلالات عبارات سوسير ومفاهيمه وسياقها التاريخي والمعرفي ومقارناً بينها وبين مفاهيم قريبة منها مبيناً مصدرها وتحولاتها المفهومية والاصلاحية في علاقاتها بتدوينات الطلبة أو بتدوينات سوسير نفسه.

1. René Amacker, (1975), p. 87. cf Claudia Mejia Quijano, (2005), p. 12.

2. F. de Saussure, (1974/1967).

ويحبل تحقيق دو مورو بمقارنات مُفصَّلة ومُدعَّمة بالتوثيق الدَّقِيق بين تصورات سوسير وأقطاب اللسانيات الحديثة أمثال، همبولدت ونورن *Noreen* ويسبرين *Jespersen* وماييه وبولومفيلد وتشومسكي وغيرهم، وهي مقارنات قامت على مقارنة فيلولوجية وإبستمولوجية وفلسفية لما جاء في نص دروس أضاءت بعض الجوانب التي كانت تبدو غامضة في لسانيات سوسير مقارنة بين تصوراته وتصورات مفكرين وفلاسفة ولغويين آخرين في إطار الفكر الغربي قديمه وحديثه. ويسمح لنا تحليل دو مورو بالاطلاع على تحاليل فلسفية ومنطقية وإبستمولوجية ولغوية وفيلولوجية بدءاً بأفلاطون والرواقيين مروراً بأغسطين وبور رويال والمقارنين والنحاة الجدد وكروتشه وصولاً إلى تشومسكي، نتلمس من خلالها درجة حضور تصورات سوسير سواء عند سابقه أو عند المتأخرين عنه.

وبفضل دراسة دو مورو النقدية، أصبح المهتم بلسانيات سوسير يملك سجلاً مذهباً من الإحالات والمصادر التي تناولت المفاهيم الأساس في دروس التعليق والترجمة والنقد مثل؛ مفهوم اللسان واللغة والكلام والعلامة والاعتباطية والفرق بين الآني والتعاقب والنسق والقيمة وغيرها. ولم يفت دو مورو التنبيه على سوء الفهم الذي تعرضت له المفاهيم السوسيرية في اللسانيات وما يطبعها من مفارقات وتناقضات ملازمة لها.

#### 4. المصادر الجديدة: كراسات الطلبة

ونشر أيسوك كوماتسو *E. Komatsu*<sup>1</sup> في بداية التسعينيات من القرن العشرين دروس سوسير في اللسانيات العامة حسب التسلسل الزمني الأصلي الذي ألقيت فيه أثناء السنوات الجامعية الثلاث وهي: دروس العام الأول (1907) ودروس العام الثاني (1908-1909) ودروس العام

<sup>1</sup>. F. de Saussure's, (1996), First Course of Lectures on General Linguistics (1907): From the Notebooks of Albert Riedlinger, (Language and Communication Library) Edited and translated by Eisuke Komatsu and George Wolf, Oxford, New York, Seoul, Tokyo, Pergamon Press.

-F. de Saussure's Second Course of Lectures on General Linguistics (1908-1909): From the Notebooks of Albert Riedlinger, (Language and Communication Library), Edited and translated by Eisuke Komatsu and George Wolf, Oxford, New York, Seoul, Tokyo, Pergamon Press, 1996.

- F. de Saussure's, Third Course of Lectures on General Linguistics (1910-1911): From the Notebooks of Emile Constantin, (Language and Communication Library) Edited and translated by Eisuke Komatsu and Roy Harris, Oxford, New York, Seoul, Tokyo, Pergamon Press, 1993.

الثالث (1910-1911). وأُخرجت الدروس إخراجاً جديداً اعتماداً على التديوينات الواردة في كراسات ثلاثة من أبرز الطلبة الذين حضروا هذه الدروس بجامعة جنيف؛ وهم: ألبرت ريدلنجر *A. Riedlinger* وإميل قسطنطين *E. Constantin* وشارل باتوا *Ch. Patois*. وأعدت كلوديا مايجا كويخانو *C. M. Quijano* ودانيال غمبارارا *D. Gambarara* نشر دروس العام الثالث المُدونة في كراسات الطالب إميل قسطنطين<sup>1</sup>. وتتضمن النشرة الجديدة فقرات مهمة من دروس هذا العام لم ترد ضمن ما نُشره أنغلر وكوماتسو وتتعلق بحديث سوسير عن ظاهرة تنوع الألسن. "ويعدُّ قسطنطين واحداً من أبرز الطلبة الذين تابعوا دروس سوسير واستمعوا إليه أثناء العامين الثاني (1908-1909) والثالث (1910-1911). وتكتسي كراساتُه أهمية بالغة بالنظر إلى حرص صاحبها على نقل أدق تفاصيل الدروس التي كان يستمع إليها. كما عرّف عنه عنايته الفائقة وتعامله الخاص مع ما كان يلقيه أستاذه من تعاليم شفوية؛ أكسبه مهارة كبيرة في تدوين المحاضرات. وبلغ به تعلقه بأستاذه أن أعاد كتابة خطاب أستاذه بصيغة المتكلم<sup>2</sup>. كما عرّف عن قسطنطين اشتغاله المُستمر على كراساتِه بعد تدوين الدروس؛ إذ كان يعود بعد كل حصة إلى تديوينات زملائه فيتمّم ما كان ينقص كراساتِه مضيفاً إليها ما فاته من عبارات أو كلمات لم يتمكن من تديوينها مع حرص شديد على توثيق كل فكرة أو جملة أو كلمات يضيفها بنسبتها إلى من ينقل عنه<sup>3</sup>. وتعدُّ كراساتِه من أفضل مضامين دروس سوسير في اللسانيات أثناء العام الثالث وأشملها. ولهذه الأسباب اعتُبر الطالب قسطنطين "شاهداً وفاقاً" على الدروس؛ بل ومن "أفضل الشهود عليها"<sup>5</sup>. ويرجح أن السرّ في عنايته الفائقة بالدروس يكمن في أنه ربما أدرك القيمة التاريخية التي ستكون لكراساتِه بعد أن فطن إلى الحالة الصحية المتردية لأستاذه ممّا جعله يجتهد بشكلٍ مثيرٍ للغاية، فدوّن كل ما صدر عن سوسير حرفياً مثبتاً النقطة والفاصلة<sup>4</sup>. ولعل في احتفاظ قسطنطين بكراساتِه بعيداً عن أنظار الدارسين وتأخره في تقديمها كوثيقة تاريخية إلى من يهمه أمر سوسير ما يدعم هذا الرأي. غير أن القيمة الحقيقية لكراسات قسطنطين تتمثّل في أنّ صاحبها ظلّ محتفظاً بها

1. Emile Constantin, (2005) Linguistique générale. Cours de M. le Professeur de Saussure, 1910-1911,

Texte édité par Danièle Gambarara et Claudia Mejia Quijano, In CFS 58, (2005), Genève, Droz, 2006.

2. D. Gambarara, (2005), p. 39.

3. Claudia Mejia Quijano, (2005), p. 49-51.

4. D. Gambarara, (2005), p. 30.

5. Ibid, p. 30.

6. Ibid, p. 49.

لنفسه في غفلة من الجميع ولا سيما بالي وسيشهاي؛ وهو ما جعلهما لا يعتمدان على مضمونها في إخراج الدروس سنة 1916. ولم يرد أي ذكر لكراسات قسطنطين ضمن كتاب غودل (المصادر المخطوطة 1957) إلى أن قام صاحبها بتسليمها له. ولم يكن غودل يدري يوم تقديم أطروحته المصادر المخطوطة لدروس في اللسانيات العامة<sup>1</sup> أنه سيكون على موعد مع التاريخ مرتين: تقديم أطروحة رائدة عن المصادر المخطوطة لدروس سوسير في اللسانيات وتلقيه هدية قسطنطين المتمثلة في كراساته التي تتضمن تدويناته المتميزة لدروس سوسير في اللسانيات. وكان غودل أول من عرف بوجود كراسات قسطنطين<sup>2</sup>. وأورد أنغلر في طبعته النقدية فقرات متناثرة من هذه الكراسات حسب خطة العمل التي اتبعها في مقابلة نشرة 1916 بمصادرها الأصول. وتلقي كراسات قسطنطين أضواء جديدة على مضامين دروس بالكشف عن بعض الجوانب الغامضة فيها<sup>3</sup>. ولعل الأهمية التاريخية والقيمة الفيلولوجية التي تميزت بها هي التي حذت ببعض الدارسين إلى القول إن عدم اعتمادها في إعداد طبعة 1916 أثر سلباً على اللسانيات العامة في القرن العشرين<sup>4</sup>.

##### 5. المقاربات الفيلولوجية والوجه الآخر لسوسير

بفضل صرامة المقاربات الفيلولوجية ودقة منهجيتها في التعامل مع مضمون نص دروس مقارنة بالمصادر الأصول<sup>5</sup> تم:

- أولاً: ضبط مادة نص دروس في علاقتها بالمادة الأصلية التي تشكل منها والمتمثلة أساساً في تدوينات كراسات الطلبة وما عُثر عليه لاحقاً من نصوص مخطوطة بيد سوسير نفسه.
- ثانياً: رصد ما ورد في نص دروس من انزلاقات دلالية وارتباك أو غموض أو سوء فهم وتأويل سواء في صياغة المفاهيم أو الاستدلال عليها نتيجة لإهمال الناشرين العديد من المصادر المخطوطة وعدم اهتمامهما بالتنوع الأسلوبي لدى سوسير في التعبير عن المفاهيم والمصطلحات أو تأرجح مواقفه أو تردده إزاء العديد من القضايا اللغوية.
- وكان للمنحى الفيلولوجي الذي دشنته غودل وسار على منواله أنغلر ودو مورو وآخرون نتائج مباشرة على نص دروس أبرزها:

1. كانت أطروحة غودل بإشراف A.Burger وشارك في مناقشتها هنري فرا H. Frei واللساني أندريه مارتنيه André Martinet يوم 11 يونيو 1957 وهي تحمل العدد الترتيبي رقم 160.

2. R. Godel, (1958), Genève, Droz, pp. 23-32.

3. E. Komatsu (1993), préface, p.XIII.

4. Claudia Mejia Quijano, (2005), p. 52.

5. يمكن القول بأنه لم يعد ملائماً اليوم الحديث عن المصادر المخطوطة لدروس سوسير في اللسانيات العامة وغيرها من جناس تصحيفي وتحليل الحكاية الخرافية بعد أن نشرت معظم مسودات النصوص التي تركها سوسير وطلبتة.

■ العودة إلى سوسير ونصوصه بشكل لافت للنظر،  
■ إغناء مضامين نصّ دروس بالعديد من النصوص المكمّلة له،  
■ خلخلة كثير من الأحكام والموافق إزاء لسانيات سوسير.  
وخلص جل المهتمين باللسانيات الحديثة عامّة وبلسانيات سوسير على وجه الخصوص إلى أنّه لم يعد من الممكن قراءة نص سوسير دروس في اللسانيات العامة لفهم مضامينه النظرية والمنهجية دون العودة إلى الدراسات النّقديّة الفيلولوجية التي ظهرت في فترات مختلفة من النصف الثاني من القرن العشرين وبداية الواحد والعشرين. وبرز بوضوح أنّ طبعة 1916 الراجحة أو الشائعة *La vulgate* لم تعدّ لا كافية ولا ملائمة للكشف عن ملامح لسانيات سوسير أو تحديد طبيعة المفاهيم الجوهرية التي تضمّنتها. وأصبح من الضروري العودة إلى دراسات روبرت غودل ورودولف أنغلر وطوليو دو مورو وما قدّمه الجيل الجديد من محققي نصوص سوسير التي تشكل المصادر الحقيقية لتصوراته عن اللغة..

وبالرجوع إلى هذه المصادر الأصول التي باتت اليوم متاحة للدارسين؛ يتضح بالملاموس أن تصورات سوسير أقل نزعة نحو التقسيمات الثنائية الصارمة وأكثر عمقاً وشمولية في تحاليله للقضايا اللغوية على العكس ممّا يوحي به نص دروس الذي أعده بالي وزميله<sup>1</sup>. كما اتضح أنّ كمة فجوة عميقة بين الصورة التي رسمتها طبعة 1916 للسانيات سوسير وصورة لسانياته كما تظهر في المصادر الأصول وكتابات الأخرى نقصد هنا كتاب سوسير الجديد في الجوهر المزدوج للغة الصادر سنة 2002. وقد سمحت النتائج المحصل عليها في المقاربات الفيلولوجية لنص دروس ومقارنته بنصوص سوسير الأصلية بظهور مجموعة من التأويلات الجديدة. وأصبح هدف مريدي لسانيات سوسير وأتباعه في إطار السوسيرية الجديدة<sup>2</sup> تأويل تصوراته في ضوء النصوص التي ظهرت منذ 1957. وعرفت هذه المرحلة الجديدة في تلقي سوسير ظهور مجموعة من الدراسات التي حاولت أن تُقدّم صورة مغايرة عن لسانيات سوسير بالعودة إلى نصوصه الأصلية وليس نص دروس فقط هدفها:

- أ- توضيح الجوانب الغامضة في تصورات سوسير ومفاهيمه الأساسية،  
ب- إعادة النظر في فهم الثنائيات الشهيرة، (وخاصة لسان كلام وآني/ تعاقبي، وقيمة ودال ومدلول وغيرها)،

<sup>1</sup>. R. Amacker, (1975)<sub>2</sub> p. 17.

<sup>2</sup>. Ibid.

ج- محاولة تقديم لسانيات سوسير كمنظومة نظرية متكاملة قابلة لأن ينظر إليها في سياق الإنجازات التي حققتها اللسانيات ما بعد البنيوية، ولاسيما بعد بروز نظرية النحو التوليدي وتيارات لسانية أخرى مثل تحليل الخطاب والتداولية،

د- محاولة إدماج لسانيات سوسير في خضم التحولات النظرية والمنهجية التي عرفها الدرس اللساني الحديث بانفتاحه على فلسفة اللغة العادية والمباحث الدلالية والتداولية وقضايا التأويل بكل أبعاده وجوانبه اللغوية والاجتماعية والنفسية والثقافية.

ومن شأن العودة إلى نصوص سوسير الأصلية أن تقدم صورة دقيقة عن مضمون محاضرات سوسير في اللسانيات؛ وأن تزيل ما جاء فيها من اختزال مفرط لتصوراته العميقة والخصبة وما ترتب على ذلك من سوء فهم والتباس في تقدير قيمتها النظرية والمنهجية وطريقة تقديمها في المحافل العلمية بحثاً وتدریساً. ويحرص العديد من الدارسين اليوم في سياق العودة إلى سوسير الأصيل والبحث عن لسانياته الحقيقية على الانطلاق ليس من طبعة 1916 فقط؛ بل أيضاً من النصوص التي تم التعرف عليها مؤخراً ومن تدوينات الطلبة في كراساتهم. وأصبح هدف بعض مؤولي لسانيات سوسير تناول "سوسير منظوراً إليه في ذاته"؛ أو "سوسير في حد ذاته ولذاته"؛ باستقلال عن نص دروس في اللسانيات العامة الذي أشرف على إخراجه بالي وسيشهاي. وإذا ما تمت أية إحالة على مضامين طبعة 1916؛ فلن يكون ذلك إلا من باب المقارنة والاستئناس لسبب بسيط يتمثل في أن هذه الطبعة تُقدّم نصاً تمّ بناء فصوله وإعداد فقراته وصياغة عباراته جملة وتفصيلاً. ولم يكن نص دروس في نهاية التحليل سوى صيغة تأويل الناشرين لتصورات صاحب هذه الدروس، ومن ثمة فإن اعتماد نص 1916 منطلقاً وحيداً في تقديم لسانيات سوسير نوع من الدوران في حلقة مفرغة<sup>2</sup>. ويُعدّ دو مورو من أكثر الدارسين إلحاحاً على ضرورة القيام بدراسة نقدية شاملة لنص الدروس في ضوء مجمل المصادر الأصول والنصوص الأصلية<sup>3</sup> التي تجعل القارئ أقرب مسافة إلى الصورة التي أُلقيت بها هذه الدروس شكلاً ومضموناً.

#### 6. المقاربات الفيلولوجية والقبض على لسانيات سوسير

لقد أسهمت المقاربات الفيلولوجية التي سبقت الإشارة إليها لنص دروس في اللسانيات العامة في الكشف عن جزء من الغموض وتبيان التناقض الذي لازم فترة طويلة تصورات سوسير بالبحث فيلولوجياً عن أصولها وخليقاتها وسياقاتها المعرفية تاريخياً.

1. Loic Depecker, (2009), p. 49.

2. Ibid, p.16.

3. André Petrof, (2004), p. 34.

ومنذ ظهور المقاربات الفيلولوجية الأولى بدأت لسانيات سوسير تنكشف في صورتها الجديدة لتطرح إشكالات تاريخية وفلسفية ومنهجية لم يلتفت إليها في الحقبة الأولى من تلقي سوسير لاسيما في النصف الأول من القرن العشرين أي مرحلة التلقي المباشر للسانياته من خلال نشرة دروس الصادرة سنة 1916. وتبدو القراءات التي تناولت جوانب معينة من لسانياته وفق مقاربات لسانية وإبستمولوجية وتاريخية ونفسانية وأدبية وشعرية متقاربة لدرجة التطابق أحياناً؛ ومتباعدة لدرجة التناقض أحياناً أخرى. وبلغت تأويلات نص دروس مستويات متقدمة من التعقيد الذي أصبح يتطلب جهداً كبيراً وقُدرة هائلة من الكدِّ والصبر للإمساك بالخُطوط العامّة لتصورات سوسير التي تُقدّمها مُختلف القراءات. ويكاد المرء وهو يطلع على الأدبيات السوسيرية الحديثة أن يصاب بالدوران؛ إذ بات مجرد التعرف على عناوين المصادر الأساس المتعلقة بتلقي لسانيات سوسير في سياقها الجديد، واستخراج ما يهمه منها، وترك ما لا فائدة منه مسألة صعبة إن لم نقل متعذرة عملياً لاسيما في ضوء تقنيات التواصل الحديث ووسائل النشر المتنوعة التي لا تعرف التوقف. ولم يعد في مقدور الدارس أمام تعدد سياقات هذا التلقي واختلاف أبعاد تأويل تصوراته أن يتعرف على الوجهة التي ينبغي اتباعها لرصد الملامح الحقيقية للسانيات سوسير: كيف نستطيع القبض تصويرياً على لسانيات لم يرسم صاحبها ملامحها ولم يصغها صياغة مكتملة ونهائية؟

أعلن جورج مونين غداة صدور مؤلف غودل المصادر المخطوطة أن قراءة سوسير أصبحت مشكلة حقيقية<sup>1</sup>. ومنذ نهاية الخمسينيات لم تزد الصورة إلا التباساً وغموضاً لاسيما في ظل الدينامية التي عرفتها حركة نشر نصوص أخرى لسوسير واستمرار الإحالة إلى نص دروس والاهتمام المتنامي به في الوقت نفسه. ومقارنة بتلقي لسانيات سوسير في النصف الأول من القرن العشرين، فإن تلقيه في العقود الأخيرة يبدو أكثر غنى تصويرياً ومنهجياً. لكن القراءات المعاصرة لسوسير عبر نصوصه الجديدة عملت يوماً بعد يوم -من حيث تُدرى أو لا تُدرى- على أن "تقدّم لنا سوسير مُلغزاً *énigmatique* ومُقلقاً"<sup>2</sup>. فمن يكون سوسير الحقيقي أو سوسير الأصيل؟ أين تتجلى لسانياته الحقيقية؟ هل هو سوسير عالم النحو المقارن المتألق في المذكرة التي أصدرها سنة 1879 حول نظام الصوائت الأولية في الألسنة الهندية الأوروبية؟ أم سوسير الباحث في الجنس التصحيفي *Anagrammes*؟ أم سوسير الضليع في تحليل الحكاية الخرافية والأساطير الجرمانية؟ أم هو أخيراً سوسير اللسانيات؟ لكن أية لسانيات نقصد؟ أهى اللسانيات دروس أم لسانيات المصادر الأصول

1. George Mounin, (1968), p. 17.

2. Hermann Parret, (2009),

التي نشرها غودل وأنغلر ودو مورو وكوماتسو وغيرهم أم اللسانيات الواردة في الماهية المزدوجة للغة وباقي المقطوعات *fragments* المنشورة مؤخراً؟

## 7. حدود المقاربات الفيلولوجية

لقد أسهمت المقاربات الفيلولوجية في تجاوز بعض التناقضات التي يعج بها نص دروس بتوضيح ملبساتها وتبيان أسباب حدوثها، وجعلت مشروع اللسانيات الذي قدّمه سوسير في دروسه مفهوماً أو على الأقل قابلاً للفهم في سياق تاريخي ومعرفي محدد. وعلى الرغم من أن الحركة الفيلولوجية النقدية وما تلتها من أدبيات نجحت إلى حد كبير في إثبات نسبة نص دروس في اللسانيات العامة إلى سوسير وتبيان درجة التعديلات ومستوى التغيرات التي طالت فقرات مختلفة منه؛ فإنها لم تفلح بعد في تغيير الصورة النمطية والمختزلة الموروثة عن نظريته تغييراً شاملاً؛ أو إضعاف النزعة السوسيرية التي سادت اللسانيات حقبة غير قصيرة من القرن العشرين التي نجحت إلى حد كبير في اختصار لسانياته في صيغة ثنائيات مستقلة. وما يزال سوء الفهم قائماً جراء عدم ربط أساسيات اللسانيات الواردة في طبعة 1916 بنصوصه الأخرى وبالسياق التاريخي الذي ظهرت فيه لاسيما في علاقته بنصوص لسانيين آخرين سبقوه بفترة وجيزة أو عاصروه أمثال، ويتني وميه ويسبرسن وشوخارذت وغيرهم.

لقد حصرت الحركة الفيلولوجية أهدافها وانشغالاتها في رصد درجة تجليات علاقة التقارب أو التباعد بين نص دروس والمصادر الأصول حول قضايا لغوية معينة. ولم يتم بعد تقديم حصيلة نهائية تنهي هذا الجدل الذي طال أكثر من اللازم حول نسبة هذا التقارب أو التباعد لتظل المقاربات الفيلولوجية السوسيرية هي الأخرى سحينة رؤية أحادية ثابتة تجعل من نص دروس في اللسانيات العامة وحدة عضوية ومركز لسانيات سوسير<sup>1</sup>. ويبدو أن الدراسات السوسيرية الجديدة تهمل في معالجتها الفيلولوجية شيئاً جوهرياً-يتمثل في عدم عنايتها بالنسق التصوري العام للسانيات سوسير وأسسها الإبستمولوجية وطبيعتها النظرية والمنهجية كما تجسدها نصوص كتاباته اللغوية الأخرى وليس نص طبعة 1916 فقط. وقلما عالجت المقاربات الفيلولوجية قضايا لسانية خالصة بحثاً عن أجراً المفاهيم اللسانية الواردة عن سوسير. ولم يهتم أتباع اللسانيات السوسيرية الجديدة كثيراً بمدى إجرائية مفهوم العلامة في التحليل التركيبي ورصد الجوانب المشتركة بين مفهوم العلامة اللغوية ومفهوم المورفيم كوحدة دنيا في التحليل التركيبي التوزيعي أو مفهوم المونيم في المدرسة الوظيفية البنوية عند مارتينييه. هل يعد مفهوم العلامة اللغوية مفهوماً نظرياً عاماً أم مفهوماً إجرائياً في تحليل الألسن البشرية أم خاصة نوعية مميزة للنسق السيميولوجي؟ في أي

<sup>1</sup>. Simon Bouquet, (1997), chapitres III et IV.

مستوى من التحليل اللغوي يمكننا أن نتصور العلامة اللغوية؟<sup>1</sup> كيف يمكننا الاستعانة بمفهوم العلامة اللغوية في التحليلين الصرفي والتركيبي؟ نحن نعرف أن سوسير ميز بدقة بين بعض المصطلحات مثل، الكلمة *mot* والكيان اللغوي *entité* والوحدة *unité* والحد اللفظ *terme* والعلامة *signe* وغيرها. يقول سوسير: "يجب أن نبحث عن الوحدة خارج الكلمة. وكثير من الكلمات هي وحدات مركبة. ومن السهل أن نُميز الوحدات فرعية (سوابق ولواحق وجذور الخ). عن الوحدات المشتقة مثل *désir + eux* و *malheur + eux* تنقسم إلى أجزاء متميزة لكل منها دور واضح"<sup>2</sup> ما هي مسوغات اللجوء إلى هذه التسميات من الناحية الإجرائية؟ على أي أساس فرق بينها سوسير؟ لماذا فضل سوسير في النهاية مفهوم العلامة دون غيره؟

ولم يعمل أتباع الحركة الفيلولوجية السوسيرية على تبيان العلاقة بين المكونات اللغوية في صيغها المتعددة بالرغم من أن سوسير نفسه اعتمد حسب المصادر الأصول على عدد من الأمثلة اللغوية الملموسة التي استمدها من السن مختلفة<sup>3</sup> ولم يهتم أتباع اللسانيات السوسيرية الجديدة بأهمية دراسة "اعتباطية العلامة" لمعرفة نتائج تطبيقها في التحليل الصرفي والدلالي على أساس انعدام أي صلة بين الدوال والمدلولات داخل بنية الوحدات الصرفية من جهة أولى؛ وفي علاقتها من جهة ثانية بالحقول الدلالية وتحديد التصورات العامة. إن ما يفسر وجود البدائل الصرفية (الألومورفات *allomorphes*) في التحليل الصرفي هو انعدام العلاقة الأحادية *bijectives* بين الدال والمدلول؛ إذ لا يكتفي دال واحد دائماً بالارتباط بمدلول واحد اعتبارياً والعكس صحيح؛ بل إن دالاً معيناً غالباً ما يرتبط في الوقت ذاته بمدلولين مختلفين أو أكثر. وقد يعبر عن المدلول الواحد بدالين مختلفين أو أكثر<sup>4</sup>.

#### 8. المقاربات الفيلولوجية ومركزية نص دروس

حصرت الحركة الفيلولوجية اهتماماتها بنص سوسير في أمرين اثنين: البحث في المسارات التكوينية والتفسيرية الهرمونية لنص دروس والاقتصار على رصد تأثيراته العامة في المدارس اللغوية الحديثة (حلقة براغ، هلمسلف إلخ). ولم تأخذ الدراسات الفيلولوجية في الحسبان أن نص دروس نفسه لم يكن إلا إنتاج مناولة تحريرية<sup>5</sup>. ولهذا فإن أهم ما يعاب على عمل أنغلر بالرغم من أهميته وقيمه الوثائقية الهائلة؛ أنه اتخذ من نص دروس في اللسانيات العامة منطلقاً ومصدراً

1. Françoise Gadet, (1989), p. 20.

2. CLG/Engler (1968/1974), p. 148.

3. Touratier Christian, (2006), p. 55. Edité par Louis de Saussure.

4. C. Touratier (2006).

5. François Rastier, (2003), p. 23.

له حين قام بترتيب نشرته النقدية على أساسه. وكان بإمكانه مثلاً أن يعتمد كراسات الطلبة مُراعاة لتسلسل إلقاء الدروس زمنياً مما يسمح برصد درجة التطابق أو الاختلاف بين نص دروس والمصادر الأصول؛ ويقف بيسر على حجم التعديلات. لكن حرص أنغلر على اتخاذ نص دروس في اللسانيات العامة نقطة انطلاق جعل متابعة المصادر الأصول زمانياً أمراً صعب التحقيق لأن نظام الإحالة عليها وفق تسلسل مقطوعاتها لا يسمح بقراءتها بشكل منتظم ومتتابع لاختلاف أرقام تسلسل موضوعاتها الأصلية عن تسلسل مقطوعات نص دروس. والحديث عن مركزية نص من النصوص لا يحصل عادة إلا في مجال الهيرمينوطيقا المتعلقة بالنصوص الدينية عامة والمقدسة منها بوجه مخصوص. ولم تكن مصادر سوسير الأصول في حاجة إلى نص مركزي تدور حوله أو تنطلق منه سواء تعلق الأمر بنص دروس الشائع أو غيره على نحو ما فعل غودل وأنغلر ودو مورو؛ فليس لتعاليم سوسير الشفوية في دروسه في اللسانيات نص مركزي ووثوقي *dogmatique* إلا نصاً غائباً<sup>1</sup>. لكن غودل يرى أنه من الصعب بمكان فصل أية طبة نقدية للمصادر الأساس عن نص دروس في اللسانيات العامة. ولن يجد قارئ الحواشي النقدية المتعلقة بتدوينات الطلبة سوى شذرات معزولة عن سياقها الأصلي، ولن يكون لديه وسيلة للحكم في نطاق معين على التوزيع الجديد الذي يعكس فكراً تم في كل لحظة تصحيح مقارنته<sup>2</sup>. أما أنغلر فيرى أن الانطلاق من نص دروس تعني من بين ما يعنيه "أن نطلق من المعلوم إلى المجهول ومن النص الكلاسيكي إلى المصادر"<sup>3</sup>.

لقد ظلت المقاربات الفيلولوجية من خلال المنظور الضيق الذي اتبعته في التعامل مع نصوص سوسير الأصول منذ غودل سجيئة تبعيتها المطلقة لنص دروس الذي وضعه بالي وسيشهاي، بينما "المشكل الحقيقي بالنسبة إلى لسانيات سوسير اليوم ليس هو إعادة تكوين الصورة التامة والصحيحة عن الأستاذ (أي سوسير) أو البحث عن المادة الحقيقية للنسخة الرائجة أو البحث أبعد من ذلك عن انشغالات سوسير العميقة. ما يهم اليوم هو مسارات اللسانيات التي انطلقت من سوسير وتفرعت عنه والدور الذي لعبه نص دروس في تشكيل اللسانيات الحديثة. لم يعد الأمر يتعلق بالبحث عن "سوسير-الرجل" وإنما ينبغي أن نعالج "سوسير-الصورة" ومكانته في إبستيمولوجية اللسانيات<sup>4</sup>.

وتعاني الأدبيات القائمة على التحليل الفيلولوجي لنصوص سوسير من عدم قدرتها على تجاوز سياق نص دروس ووقوفها عند حدود تتبع انتقال الكلمات والجمل وطريقة تكوينها وبنائها في

1. François Rastier, (2012), p. 16.

2. Robert Godel, (1959), p. 102.

3. Rudolf Engler, (2003), p. 19.

4. Louis Jean Calvet, (1975), p. 57.

دروس مقارنة بالنصوص الأصول. ولما كانت الفيلولوجيا بحكم طبيعة انشغالها مرتبطة بتوثيق النص ووضع الشروح المساعدة عليه، فإن المقاربات الفيلولوجية ظلت لصيقة بالبحث عن كل أشكال التثبيت من صدقية فقرات نص دروس وجمله وبالتنقيب عن تفاصيل مسارات تكونه *genèse* ونشأته كنص محوري مما جعلها غير قادرة على أن تُقدّم أي تصور دقيق عن النسق النظري العام للسانيات سوسير سواء من خلال تعاليمه في نص دروس نفسه أو في نصوص كتاباته الأخرى، وسواء أكان هذا النسق جاهزاً في ذهن سوسير نهائياً أم أن الرجل حاول بناءه تدريجياً طيلة الفترة التي كان يلقي فيها سلسلة محاضراته.

ومن المفارقات الدالة أن المقاربات الفيلولوجية التي كانت تسعى إلى تجاوز وثوقية *Dogmatique* نص دروس لم تُفلح بدورها في الإفلات من قوة قبضته وتجاوز سلطته المعرفية الراسخة في اللسانيات المعاصرة، مما جعلها تبقية منطلقاً مركزياً لكل معالجاتها النقدية<sup>1</sup>. ويبدو أن الدعوة إلى سوسير حقيقي أو أصيل غير قادرة على تجاوز سوسير دروس، إذ لم ينظر حتى الآن إلى تأملات سوسير اللغوية إلا في إطار ما له علاقة مباشرة بنص دروس في اللسانيات العامة وفق نشرة 1916. ولم يكن غودل يهدف من دراسته النقدية للمصادر المخطوطة لدروس سوى إلى إلقاء الضوء على نص بالي وسيشهاي معتبراً أن عمله إنما هو استمرار للمقاربة الجريئة التي قام بها الناشران<sup>2</sup>. ويستعمل غودل مثلاً عبارة المصادر المخطوطة *les sources manuscrites* في إشارة لا إلى المصادر الأصول لنص دروس في اللسانيات العامة وحسب؛ وإنما إلى مجمل كتابات سوسير في اللسانيات العامة التي يعود بعض منها إلى سنة 1891. ويسمّيها التدوينات [أو الملحوظات] *Notes* واضعاً بذلك مجمل نصوص سوسير في دراسة اللغة على قدم المساواة مع تدويناته للدروس التي ألقاها ما بين 1907 و1911<sup>3</sup>.

ما يمكن أن يعاب على تلقي سوسير القائم على التحليل الفيلولوجي لنص دروس في علاقته بالمصادر الأصول يتمثل في أن هذا التلقي استند إلى قراءات تجاوزت حدود التمهيص والتثبيت من صحة فقرات طبعة 1916 وصدقية نسبتها إلى سوسير لتتحول إلى نوع من التحليل الهيرمنوطيقي المؤسس على التأويل الذاتي. وهكذا بات يستخلص من نص نشرة 1916 ما لم يفكر فيه سوسير نفسه، لتسقط التأويلات التي يجسد دو مورو نموذجها البارز-بشكل مفارق في المأزق الذي وقع فيه بالي وسيشهاي من قبل، وهما يحاولنا تثبیت لسانيات سوسير غير التامة وإعطاءها صورة نهائية

1. François Rastier, (2009), p. 9.

2. Robert Godel, (1959) p. 251.

3. Simon Bouquet, (1997), p. V, note1.

تعكس نسقاً تصويرياً جاهزاً ومفتوحاً على كل الاحتمالات التصويرية والمنهجية مُقْتَنِعِينَ بأن كل ما كان يتعين على سوسير أن يقوله متضمن بشكل أو بآخر في نص دروس في اللسانيات العامة<sup>1</sup>. ويرسم دو مورو بحسّه العُقْلَانِي وتساؤلاته الفلْسَفِيَّة العميقة صورة لسوسير أدقّ وأكثر تماسكاً وتجانساً ممّا هي عليه صورة سوسير في الواقع. ولم يهتم دو مورو كثيراً لا بطبيعة التباين الحاصل بين دروس الأعوام الثلاثة ولا بمسألة ترتيبها وعلاقتها بالنسق التصوري العام عند سوسير؛ وإنما جعل كل موضوعات تحقيقه الموسوعي تدور حول نص دروس في اللسانيات العامة، منه ينطلق وإليه يعود. وليس معنى هذا أن دو مورو لم يكن واعياً بنسب الاختلاف بين طبيعة الأهداف النظرية والمنهجية التي قصدها سوسير في دروس كل عام على حدة، وإنما عمل على التقليل من أهميتها وقيمة دورها بالنظر إلى قلة عددها معتبراً أنها مسائل غير أساسية لا تمس في شيء البنية التصورية العامة التي يجسدها نصّ دروس. ومع ذلك يمكن القول بأن حصيلة الأبحاث الفيلولوجية التي أنجزت منذ أبحاث غودل حتى اليوم توضح بما لا يدع مجالاً للشك أن التعديلات التي أدخلها الناشران على فكر سوسير لم تكن لا قليلة ولا تافهة، ولا مجرد هفوات فيلولوجية بسيطة كما يعتقد دو مورو، بل بالعكس من ذلك تُجسد تحريفاً نظرياً حقيقياً وملموساً لا يستهان به لتصورات سوسير.

خاتمة

في ظلّ التراكم الهائل من المصادر والدراسات النقّدية والفيلولوجية منذ عمل غودل (المصادر المخطوطة 1957) نستطيع أن نتصور الصعوبات الجمة التي باتت تعترض سبيل قارئ كتاب دروس في اللسانيات العامة أو المهتمّ بلسانيات سوسير. فلم يعد من المقبول اليوم أن تُنسب إلى سوسير أية عبارة من نص دروس دون التثبت من أنها ليست ببساطة من تحرير بالي وسيشهاي<sup>2</sup>. وأصبح واضحاً أنّ الإمساك بأساسيات لسانيات سوسير ليس بالأمر الهين مثلما كانت الحال في النصف الأول من القرن العشرين؛ أو إنّ شئنا قبل ظهور المقاربات الفيلولوجية التي توالى منذ نهاية خمسينيات القرن الماضي. وفي سياق المسعى الحثيث لمحو ملامح الصورة النمطية الجاهزة التي رسمتها طبعة 1916 لللسانيات سوسير؛ أو على الأقل محاولة رسم حدود جديدة فاصلة بينها وبين نظيرتها في المصادر الأصول التي استندت إليها المقاربات الفيلولوجية؛ شرع بعض الدارسين في التخلي عن الإحالة المباشرة على نص دروس الذي يبدو أنه بدأ يفقد سلطته المعرفية بعد أن كان لمدة تزيد

1. George Mounin, (1972), p. 67.

2. André Petrof, (2007), mise en ligne le 21 août 2007, <http://semen.revues.org/> 4281.

عن نصف قرن المصدر الوحيد للتعرف على لسانيات سوسير<sup>1</sup>. وكلّما اعتمد نص آخر غير دروس في اللسانيات العامة الذي أخرجه بالي و سيشهاي أو تدوينات كراسات أحد طلبته كان ذلك أفضل في تلقي سوسير وتأويل تصوراته باعتبار النصوص الجديدة تعكس بصدق تصورات سوسير الحقيقية أو الأصلية، وتقطع الطريق على وساطة تأويل المتلقين الآخرين. ولم يعد مسموحاً به اليوم قراءة سوسير دون الرجوع إلى كافة النصوص التي أصبحت رهن إشارة الدارسين منذ ظهور المصادر المخطوطة لغودل. وبدلاً من اعتماد نص دروس وحده؛ يتم الإلحاح بقوة على ضرورة العودة إلى نصوص سوسير نفسه وإلى المصادر الأصول للدروس بغية الاقتراب من تعاليمه الأصلية وتفيداً للتدخل المزدوج في تأويل تصوراته: تأويل الطلبة لخطاب أستاذهم وهو يدونون ما سمعوه؛ وتأويل بالي و سيشهاي المقدم في نص دروس<sup>2</sup>.

وليس معنى ما سبق أنّ النصوص النقدية لنص دروس أو المرتبطة به هي أقل قيمة منه أو إنّها مجرد نصوص مكمّلة أو مؤثّقة أو شارحة له فحسب؛ بل هي نصوص أضحت أساسية بصفتها تفسح لنا الطريق لرسم صورة موضوعية عن لسانيات سوسير، وتسمح لنا بالغوص في عمق تصوراته ومفاهيمه؛ وتكشف عن جوانب مغمورة منها تختلف عما هو وارد في نص دروس في اللسانيات العامة اختلافاً نوعياً شكلاً ومضموناً، بل تناقضه أحياناً كثيرة.

1. Loïc Depecker, (2010).

2. André -Jean Petroff, (2004), p. 36.

## المصادر:

- أرفيه ميشال (2009) البحث عن فيردنان دوسوسير، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، [ترجمة محمود خير البقاعي]
- غلفان مصطفى (2014) اللسانيات البنوية، منهجيات واتجاهات، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة.
- غلفان مصطفى (2016أ) لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة.
- غلفان مصطفى (2016ب) اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة.
- غلفان مصطفى (2016ج) لسانيات سوسير: سياقات التلقي وأبعاد التأويل،  
الملتقى الدولي: اللسانيات 100 سنة بعد إلقاء دروس دو سوسير. جامعة الجزائر 2، 14-15-16 نونبر 2016.
- غلفان مصطفى (2018) دروس في اللسانيات العامة (نشرة 1916): قراءة نقدية في ضوء المصادر الأصول،  
مجلة أنساق، الدوحة جامعة، قطر، المجلد الثاني العدد الأول، فبراير 2018 ص 135-187.
- هاريس روي (2001) سوسير ومؤلوله، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، [ترجمة أ. شاكر الكلاي] قيد الطبع.
- سوسير (1916 / 1985). دروس في الألسنية العامة. تونس. الدار العربية للكتاب. [ترجمة محمد الشاوش ومحمد مجينة، مراجعة صالح القرمادي].

## Bibliographie

- Amacker, René (1975) La linguistique saussurienne, Genève, Droz.
- Bouquet, Simon (1997) Introduction à la lecture de Saussure, Paris, Payot.
- (2003) Saussure un siècle après ,in Simon Bouquet éd. (2003).  
éd. (2003) Saussure, Cahiers L'Herne 76, Paris.
- Bergounioux, Gabriel (1993) Le tournant psychologique de la linguistique saussurienne: l'exemple de Bally et Sechehaye, Communication du 11 juin 1993 au Colloque, La psychologie et ses frontières du XIX ième siècle à nos jours, Actes polygraphiés du colloque. 361-377.
- Calvet, Louis Jean (1974) Pour et contre Saussure, Paris, Payot.
- Constantin, Emile (2005) Linguistique générale, Cours de M. le Professeur de Saussure, 1910-1911, CFS, 58. Paris, Droz. 83-290. Suivi de Saussure, F. de : Notes préparatoires pour le cours de linguistique générale 1910-1911. (Texte établi par Gambarara, D et Mejía Quijano, C).

- 
- CLG/ De Mauro =Saussure, Ferdinand (1916) Cours de linguistique générale, Paris, Payot, 1974, (Edition critique préparée par Tullio de Mauro.
  - CLG/ Engler = Saussure, Ferdinand de (1916) Cours de linguistique générale, Tome 1, (1968) Tome 2 Appendice, (1974) Notes de F. de Saussure sur la linguistique générale, Edition critique par Rudolf Engler, Otto Harrassowitz, Wiesbaden.
  - Engler, Rudolf (2003) Polyphonie, Simon Bouquet, éd. (2003). 16-19.
  - Fehr, Johannes (2000) Saussure entre linguistique et sémiologie, Paris, PUF.
  - Gambarara, Daniele (2005) Un texte original, CFS, 58, Paris, Droz. 29-42.
  - Godel, Robert (1954) Notes inédites de F, de Saussure, CFS, 12, Paris, Droz. 49-71.
  - Godel, Robert (1959/ 1969) Les sources manuscrites du CLG de F. de Saussure, Genève, Droz.
  - Mejia Quijano, Claudia (2005) Sous le signe du doute, Présentation des textes d'Emile Constantin, CFS 58, Paris, Droz. 49-51.
  - Pergnier, Maurice (2012) De Saussure à Saussure, Bruxelles, Editions l'Age de l' Homme.
  - Pétroff, André-Jean (2004) Saussure : la langue, l'ordre et le désordre, Paris, L' Harmattan.
  - Pétroff, André-Jean (2007) L'autre Saussure, in Siemen, <http://semen>, Revues, org/ 4281.
  - Rastier, François (2003) Le silence de Saussure ou l'ontologie refusée, in Simon Bouquet, éd. (2003) Saussure, Cahier de l'Herne 76, Paris. 23-51.
  - Rastier, François (2005) Saussure au futur, Ecrits retrouvés et nouvelles réceptions, Texto! [http://www.revue-texto.net/Saussure/Sur\\_Saussure/Rastier\\_Saussure.html](http://www.revue-texto.net/Saussure/Sur_Saussure/Rastier_Saussure.html).
  - Rastier, François (2012) Lire les textes de Saussure, Langages 185, Paris, A. Colin. 7-20.
  - Rastier, François (2015) Saussure au futur, Paris, Les Belles Lettres, (Collection encre marin).  
النص العربي ترجمة حافظ إسعيلي علوي (2021) عمان، دار كنوز المعرفة،
  - Rousseau, André (2006) Saussure descripteur des langues à la lumière d'un cours inédit sur le gotique, in Louis de Saussure (2006) Nouveaux regards sur Saussure, Genève, Droz.71-94.
  - Saussure, Ferdinand de (1957) Cours de linguistique générale, Cours II (1908-1909) Introduction d'après des notes d'étudiants, CFS, 15, Genève, Droz. 6-103.
  - Saussure. F de (1993) Saussure's Third Course of Lectures on General Linguistics (1910-1911) From the Notebooks of Emile Constantin, Edited and translated by Eisuke Komatsu and Roy Harris, Oxford, New York, Pergamon.

- 
- Saussure, F. de (1996) Saussure's, First Course of Lectures on General Linguistics (1907) From the Notebooks of Albert Riedlinger, Edited and translated by Eisuke Komatsu and George Wolf, Oxford, New York, Pergamon.
  - Saussure, F. de (2002) Ecris de linguistique générale (= ELG), Paris, Gallimard, (Texte anoté par S. Bouquet et R. Engler).

